بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي إلا أن هدانا الله

سمو الشيخ الدكتور/ سلطان بن محمد القاسمي

أصحاب المعالي

أصحاب العزة

أيها الأخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تعرضت المدن العربية والإسلامية خلال مراحل نموها السريع في النصف الأخير من القرن العشرين إلى العديد من المشاكل العمرانية التي يرجع سببها إما إلى القصور في تطبيق النظرية الغربية أو إلى ضعف الآليات التنفيذية في إدارة عمليات التنمية العمرانية المستمرة أو إلى عدم وجود قاعدة فكرية أو علمية مسبقة لإدارة العمران ومواجهة المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر عليه.

وإذا كان الإنسان هو العامل المحرك للعمران بكل أبعاده الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فإن أسلوب التخطيط العمراني بالتالي لابد وأن يكون مواكباً للتنمية البشرية كمكون أساسي في التنمية العمرانية. الأمر الذي ربما يناقض النظرية الغربية التي تضع المخططات الطويلة الأجل وتغفل الآليات التي تحرك هذه الخططات على المدى العاجل والآجل وهو ما تنبه إليه الخبراء أخيراً بإقرارهم بعدم جدوى المخططات المستقبلية لاستعمالات الأرض وتحولهم إلى البحث عن أساليب إدارة التنمية العمرانية كعملية مستمرة لها قواعدها وآلياتها ونظم أدائها ومواكبتها للمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يتأثر بها الإنسان على هذه الأرض في إطار من القيم الثابتة التي تحافظ على التوازن بين حاجة الإنسان وتشكيل العمران والمنهج الإسلامي الذي يدعو إلى الوسطية هو الأقدر على المحافظة على هذا التوازن. وإذا كان المنهج الإسلامي قادر على بناء الإنسان فهو بالقياس قادر على بناء العمران. من هذا المنطلق يمكن البحث عن المقومات الإسلامية التي

تساعد عل تطوير نظرية التنمية العمرانية كعملية مستمرة يتولى الإنسان الدور الرئيسي فيها. وبالتالي يمكن الرجوع إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتراث العلمي للسلف الصالح لاستنباط المبادئ الشرعية لإعمار الأرض وتخطيطها أو استنباط الأسلوب المناسب لإدارة التنمية العمراني على مدى مراحلها الزمنية وكذلك استنباط التشكيل الاحتماعي والعمراني لوحدة الجوار الذي يدعمها الإسلام مع إعمال مبدأ التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع، والبحث يحاول أن يجد منفذاً لاستخلاص النظرية الإسلامية في التنمية العمرانية ليس فقط كنظرية محلية للمدن العربية ولكن كنظرية عالمية تصلح لكل زمان ومكان يختلف فيه الشكل باختلاف البيئات ويثبت فيه المضمون والمنهج الذي يقره الإسلام.

عندما أعرض لموضوع الإعمار في الإسلام فإنما أرجع إلى قوله تعالى ((**ما فرطنا في الكتاب من شيء**)) وأن فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا وحكم ما بيننا.

وأن الله قد استخلفنا في الأرض لإعمارها– قال تعالى:

((**هو الذي أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها**)) وأنه سبحانه وتعالى يرث الأرض ومن عليها.

وكانت العبرة فيما حدث لقوم عاد حيث نزل فيهم ((**أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون**)) وفي قوله تعالى ((**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون .. ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً وأن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**)).

وإذا كان القرآن الكريم هو دستور الحياة للبشرية قاطبة وأن في السنة المحمدية المنهج والأسلوب فإن ذلك سوف ينعكس بالتالي على بناء الإنسان و بالتبعية ينعكس على بناء العمران. من هذا المنطلق نطرح الفكر الإسلامي في العمارة والعمران.. كبديل لما اصطلح عليه بالعمارة الإسلامية بصيغها التشكيلية التي نبتت في فترة محددة في الزمان وفي أقاليم محددة للمكان مع أن الإسلام لا يحده مكان أو زمان.

وإذا كان علماء المسلمين قد طرحوا مبادئ الاقتصاد في الإسلام كما طرحوا مبادئ الاجتماع في الإسلام، فلا بد بعد ذلك من طرح مبادئ العمران في الإسلام باعتباره انعكاس للمبادئ الاقتصادية والاجتماعية. فالإسلام يحض على الاجتهاد وإعمال الفكر كما يحض على الأخذ بالأسباب لما فيه صالح الإنسان. لقد نبغ كثير من علماء المسلمين في تأصيل العلوم الإنسانية التي أنارت الطريق أمام علماء

الغرب الذين بدأوا بعد ذلك في بناء حضارتهم التكنولوجية وأخذوا يغزون العالم بنظرياتهم وفلسفاتهم في مجال العمارة والعمران وهي النظريات التي شكلت فكر ووجدان المخطط والمعماري المسلم الذي فقد ذاته واندمج في نداء العولمة الذي ترفعه الحضارة المادية وتدعو له في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وبالتالي المجالات المعمارية والعمرانية. لقد حان الوقت للرجوع إلى تعاليم الإسلام ومنهجه في الوسطية. قال تعالى ((**وجعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**)). والوسطية هى المنهج الذي يحكم تصرفات الإنسان في كل أمور حياته وبالتالي في عمارته وعمرانه تشكيلياً واقتصادياً واجتماعياً.

الإسلام يحث على إعمار الأرض وإحيائها – قال تعالى ((**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**)) . وبذلك فإن الامتداد الأفقي في التعمير هو الأميز عن الامتداد الرأسي وما فيه من تطاول في البنيان، لما في ذلك من عواقب اجتماعية وأمنية كما ثبت ذلك علمياً وفي الحديث النبوي الشريف (**لاتقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان**).

وإعمار الأرض هنا بإحيائها واستثمارها وليس بالمضاربة عليها ، والتعمير يصحبه الاستيطان البشري فالتجمعات العمرانية في الإسلام تقوم على مبدأ التكامل والتكافل الاجتماعي بين الطبقات ، دون تمييز في الطبقة أو في الجنس أو في اللون . قال تعالى ((**أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً . ورحمة ربك خير مما يجمعون**)). وفي ذلك بداية النظرية في توزيع الفئات السكانية على المكان بما يساعد على تفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي، الذي يتبعه بالضرورة التكامل العمرانيٍ. ومعنى ذلك أن العمران في حركته ونموه العضوي يكون متماسك البنيان بلا فراغات تقطع أوصاله العمرانية وبالتالي أوصاله الإجتماعية. الأمر الذي يحتاج بالضرورة الى نظام خاص بتقسيم الأراضي وأعمال البناء يضمن الترابط والتلاحم ، وتكون الأفضلية في أعمال التعمير لمن يسبق في البناء ، على أن يحترم اللاحق خصوصية من سبق ويراعى حرمة الجوار وعدم التفاخر والتباهي في البنيان الخارجي. وهنا يظهر مبدأ التجانس الذي تفرضه نظم البناء على التشكيل المعماري من الخارج الذي هو ملك المجتمع ، مع توفير الخصوصية للحرية الشخصية في العمارة من الداخل التي هى ملك الفرد.

الأمر الذي يقودنا إلى مبادئ جديدة في النظرية المعمارية تنبع من المنهج والعقيدة الإسلامية. مبادئ جديدة في أسلوب تنظيم وإدارة العمران الذي أصبح من أهم علوم العصر بعد أن فشلت نظريات المخططات العامة التي ترسم الصور الجامدة للمدن بعد فترات طويلة من

الزمن. وإدارة العمران تتطلب المرونة في توجيه أعمال التعمير على مدار الأيام لمواجهة المتغيرات الطارئة الأمر الذي يتطلب إيجاد خلية عمرانية/

اجتماعية تتكاثر مع الحركة العضوية لنمو المدينة. والإسلام يحدد لنا هذه الخلية متمثلة في وحدة الجوار التي تستمد مقوماتها التخطيطية من الحديث النبوي الشريف ((**ألا إن أربعين داراً جار. ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه**)) وقال ((**حق الجوار إلى أربعين داراً هكذا وهكذا وهكذا وهكذا يميناً ويساراً وأماماً وخلفاً**)) ومعنى ذلك أن وحدة الجوار قد تضم 160 داراً ، في كل منها عائلة من خمسة أفراد في المتوسط أو عائلة مركبة من عشرة أفراد أو أكثر، تختلف فيها الكثافات السكنية وتثبت فيها أبعادها المكانية ، وتضم خليطاً من الطبقات الاقتصادية والاجتماعية المتقاربة وتعمل على تفعيل مبدأ التكافل والتعاون بين الأفراد من خلال مؤسسة المسجد الذي يتوسطها وتؤدي فيه الصلوات الخمس، وتتكامل معه الأنشطة الاجتماعية والثقافية والإدارية التي يمارسها المجتمع الإسلامي ومؤسسه المسجد وهى تلتحم اجتماعياً بالسكان فهى تلتحم أيضاً معمارياً بالعمران الذي يحيطها.

و تدخل وحدة الجوار بهذا المفهوم الإسلامي مكوناً أساسياً في تشكيل عمران المدينة الإسلامية. ويتشكل فيها معمار المدينة بمضامينه الإسلامية التي لا تتغير بتغير المكان والزمان وبتشكيلاته المعمارية التي تتواءم مع طبيعة المكان وتتطور بتغير الزمان وتحددها أسس التصميم والتخطيط التي تنبعث عن العقيدة والتعاليم الإسلامية التي تنمي روح الجوار. فالحديث النبوي الشريف يحض على عدم الاستطالة بالبنيان الجديد حتى لا يحجب الريح عن مبنى الجار القائم قبله إلا بإذنه وأن على الجار القائم ألا يمنع أن يضع جاره الجديد خشبة في جداره– وهي مبادئ تؤكد احترام خصوصية الجار وتعمل على تفعيل التكافل والتعاون بين السكان. ولنا في هذا المجال فتح أكثر توسعاً في كتابنا : المنظور الإسلامي للتنمية العمرانية وفي الآخر: المنظور الإسلامي للنظرية المعمارية– وأيضاً في الموسوعة التي تحمل عنوان أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري (حالة القاهرة) التي ساهمنا في إعدادها لصالح منظمة العواصم والمدن الإسلامية وجميعها تعالج أمور العمارة والعمران في الإسلام بالتفصيل العلمي الموثق والمعزز بالأمثلة التوضيحية في التخطيط الحضري والتصميم المعماري مع إيضاح دور المسجد في بناء الإنسان والعمران معاً. إضافة الى دور المخطط المسلم في إسكان الفقراء بعد تأهيلهم إجتماعياً ودينياً ومادياً ، كل ذلك ينعكس بالتالي على المنهج الإسلامي لعلوم العمران الأمر الذي يجري سرده في كتاب آخر جديد. ولا يتسع المقام هنا للإسهاب فيه.

والله ولي التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته